

الخبيس 11-03-2010

923- في شرف صحبة نجيب مدهمة - موظف



## في شرف صحبة نجيب محفوظ وقراءة في كراسات التدريب

الحلقة الرابعة عشر

الجمعة: 13/1/1995

..... بدأت أشعر بالألفة، وفي نفس الوقت: الخوف من عدم التمكن من الاستمرار، أعدت على محمد إبي تساؤل الأستاذ أمس عن ما صرح به إليه قبل ذلك بشأن رأيه عن ضعف انتماء الشباب (الذي يمثل به بشكل ما) إلى ما هو وطن، وأخبرته بموجز ما أسف له الأستاذ مندهشا غير مصدق، وبشكل ما مدافعا حثيفا بأمل ما، وطلبت من محمد أن يرد على رأي الأستاذ (الذي أثبتته في النشرة السابقة **نشرة 4-3-2010 الحلقة الثالثة عشر 12-1-1995**) قلت ل محمد: "ما ذا كنت تعنى أنه لم يعد ينتمى للبلد إلا الإرهابي لدرجة أنه -دون غيره- يضحى بحياته من أجلها، وأعدت عليه قول الأستاذ أنه لو صح ذلك، فقد تحول الهتاف الرائع، "موت وحييا الوطن"، إلى واقع مؤلم يقول: "موت، ويموت الوطن معنا"، قال محمد: "إن الشعور الذي نفتقده أنا ومن مثلي هو أن الواحد منا لا يمتلك هذا البلد، لا يمتلك الشارع، لا يمتلك المقهى، في حين أن جيلكم (جمعني مع الأستاذ وتوفيق صالح حاسبا أننا من جيل واحد) كان يمتلك البلد فعلا، وهذا هو ما كان يدفع الواحد منكم أن يدافع عنها ويضحى في سبيلها ويتمرغ في ترابها، رد توفيق صالح مخاطبا الأستاذ: "إن جيلنا لم يكن يمتلك البلد بالصورة التي يتحدث عنها محمد، بل الاجلئز هم الذين كانوا يمتلكون البلد ويمتلكونها بالمره"، رد محمد: "أنه فرق بين وجود

الإنجليز وبين الشعور بالامتلاك، قد أشعر أنني أمتلك الشيء حتى لو كان في حوزة غيره، فأنا مالكة برغم أن غيري يستولى عليه الآن، لكن ما دام هو ملكي فسوف يعود إليّ، بل إن سعيه لاستردادها، قد يزيد من شعوري بإمتلاكه".

قال الأستاذ: "إن الجيل الأكبر والسابق والأسبق كان يولد في "وطن"، ، ويعيش في "وطن"، وبالأدعية ما هو "وطن"، ، ثم حلت مسائل أخرى بجوار ما هو "وطن"، ، ذلك أن الأمور تطورت فحل الدين والأيدولوجي محل الوطن (إسلامية لا قومية، وكذلك أممية الشيوعية) وحين انهار الإتحاد السوفيتي وصار التعصب الديني إلى ما صار إليه، لم يعد الشباب يتبين ما هو الوطن فكان هذا الضياع الذي آلمني والذي أعلن عنه محمد".

قلت: "إذن فالمسألة ليست أن الشاب الإرهابي هو الذي يشعر بالمسئولية، وبالتالي فهو الذي ينتمي إلى ما تبقى من وطن، وحتى لو أنه يشعر بمسئولية ما فهي مسئولية ضد الوطن وليست لصالحه، ثم إن مسئوليته المزعومة تنقلب إلى دافع أسمى لتحقيق ما يفتقده شخصيا من حق الإنتماء إلى أرضه وناسه إلى التمسك المتعصب بأجزاء المفاهيم التي حشروها في دماغه، هؤلاء لا يعرفون ما هو الوطن أصلا، وبالتالي فإن أحدا منهم ليس مسئولا عن الوطن بحيث يقارن أصلا بهؤلاء الشباب المهمش المنتظر"، قال الأستاذ يعلمنا من جديد: "نعم هذا صحيح ، قد يكون هذا صحيحا، لكن هناك الواقع، والتجربة، ولا سبيل للعيش إلا بمواجهة الواقع، ثم اختبار الشائع بما يجري في الواقع، الواقع هو الذي سوف يسمح بعد أربع سنوات أن تكرر أية تجربة سياسية حاکمة، أو لا تكرر، إن كان الحكم قد عاد بالخير على الناس سيستمر، وإلا فالناس ستجتمع وتتحزب وتدفع ثمن اختيارها، ألم أقل لكم أنه لو أن جبهة الإنقاذ في الجزائر تولت السلطة من أربع سنوات لكانت على وشك الإنقضاء الآن، لأنهم كانوا سيواجهون فشلهم لو لم يحققوا للناس ما وعدوا به .

قال محمد مرة أخرى إن الخوف هو أنهم ما سوف يغيرون نوع الانتخاب الذي أتى بهم إلى السلطة، قال توفيق صالح: نحن لا نعرف حقيقة ما هو جاري ونحن بعيدون عنه، خذ مثلا إيران، لقد شاهدت فيلما إيرانيا حديثا، أظن أنه ظهر منذ سنة، كان رائعا ومتناسكا فنيا، وكانت مخرجته امرأة، وكان به من المعاني السامية ما أَرْضَانِي وأبهرت من الناحية الفنية والإنسانية، فأى مبادئ أفرزت هذا الفيلم، وأى نظام سجع به، لا بد أنه نظام قادر على إفراخ الإبداع، وليس كما نشيع عنه مما يصلنا من السياسيين.

قلت له هذا حديث مهم، وهو بالنسبة لي شيء طيب لأنني حين رفضت الثورة الإسلامية الإيرانية لم يكن ذلك من أجل تأييدي للشاه أو النظام السابق بكل ادعاءاته وحرياته المشبوهة، وإنما كان خوفا على الفن والإبداع ، وذكرت لهم أنني مازلت أذكر فيلما إيرانيا اسمه "الغريب والضباب" كنت قد شاهدته

في نادي السينما 0 (سينما أوبرا على ما أذكر في أوائل السبعينات) ، وكتبت فيه نقدا نشر في نشرة النادي التي كان يشرف عليها رجل طيب اسمه أحمد الحضري على ما أذكر، وقد وصلني من هذا الفيلم كيف أن حدس المخرج وكل من شارك فيه قد وصل إلى جذور تركيب النفس البشرية وعرضها بطريقة متكاملة ومهيبة ومخترقة، ومفيدة، وهأنذا أسمع من توفيق أن فن السينما باق ومتطور، ثم إنني تصورت بعد قيام الثورة الإسلامية أن مثل هذا الفن سوف يمتنع نتيجة للوصاية والتدخل، لكن يبدو أن هذا لم يحدث حسب شهادة توفيق التي احترمها بشكل يستحقها، ثم أضفت: إن مثل هذه الشهادة قد تدعوني إلى إعادة النظر، وقبول ما رفضته من قبل، ثم أضفت أن عندي تحفظ هام، إذ يبدو لي أن المذهب الشيعي غير المذهب السني، فأنا أعتقد أن المذهب السني (حتى في التصوف: المخاسبي مثلا) يضع سقفاً لحرمة الفكر والإبداع، وهو مذهب لفظي في رأيي بعد أن وضع تفسيرات نصوص السنة القولية المقولة بالتشكيك موضع القداسة فالإلزام، وبالتالي فالأرجح عندي أنه إذا تولت سلطة سنية الحكم فلن يصدر قانون أو يمارس نشاط من أي نوع إلا بعد إصدار فتوى بأنه حلال أو حرام، بديلاً عن محاولة الإبداع المتجدد من القيم الإسلامية الخلاقة، إن المخاوف لا تأتي من قيام قيم الإسلام مثلاً، وإنما تأتي من أن الذين سيتولون السلطة، ونحن بهذا القدر من التخلف، سوف يجدون تحت أيديهم نصوصاً تأويلية يستعملونها لتثبيت حكمهم، لا لتوليد إبداع جديد في أي مجال، قلت أيضاً: إنهم لن يوجهوا خطابهم إلى واقع حضاري، وإنما إلى غرائز دينية (ليست إيمانية بالضرورة) عانت من الحرمان، وإلى عقول متخلفة عانت من الإهمال والتهميش حتى انتهت إلى الاستغناء ليس فقط عن المنطق ولكن أيضاً عن المصلحة. إن الذين سيتولون أمرنا ليس الشيخ الباقرى أو كمال أبو المجد، وإنما هم من لا نعرف من سيستسهل الركوب على رؤوسنا، والكتم على أنفسنا إلى الأبد.

ذكر الأستاذ الشيخ محمد عبده، وذكر توفيق صالح رفاعة الطهطاوي، وحاولت أن أميز بينهما، وقلت رأياً: "إن رفاعة ناقل منبهر تحت سقف مازال غير متحرك"، أما "محمد عبده فهو مستوعب فاهم نائر مخترق يحاول أن يستلهم المصدر الديني من موقف إبداعي".

قال محمد يحيى إنه لا بد ألا نخشى حركية النقل، يجب علينا أن نغترف منهم بلا تردد، ثم بعد ذلك نحاول أن نستوعب ما نقلناه، ثم ننظر إن كنا أهله أم لا، أما أن نشترط، ونحن ننقل من البداية أن ننتقى ونعدل باستمرار بما يلائمنا، ونحن لا نعرف أصلاً ما يلائمنا الآن بلغة العمر، فهذا تجמיד وتحديد قد يعطلنا إلى درجة خطيرة.

قلت لهما (الأستاذ ومحمد) إنني أحسدكما أنتما الاثنين: الأستاذ واثق من التاريخ والتجربة حتى لو تولى السلطة من سيغير القواعد التي جاءت به إليها، ومحمد واثق من القدرة

على التخلص من التبعية بعد الإستيعاب الكافي للمنقول كما هو - أما أنا فأرى أن القوى غير متكافئة: سواء بغلبة السلطة الدينية الجاهزة لتغير الدستور لصالحها ، أو بغشم السلطة العلوية القادرة على تشكيل وعينا تقليدا جاهزا منقضا علينا من أعلى، بلا 'نحن'، وبين هذا وذاك لا يوجد حوار أو إبداع، وإن كان قد وصلني من هذا اليقين البادئ في الحوار أنني مخطئ، أو خائف أكثر من اللازم، إلا أنني سوف أظل أحافظ على إعلان حذري اليقظ طول الوقت، حتى لا أفاجأ، أنا أتصور أن عندنا ما نضيفه من واقع لغتنا العبقريّة، وثقافتنا المتحركة برغم بدائيتها، لكن تنقصنا الثقة بالنفس، والمنهج الخاص.

قال محمد - وربما صدّق عليه الأستاذ (لا أذكر) - "إنه إذا كان عندنا ما نضيفه من الآن فلننفضه، ولكن لا معنى ولا فائدة من التلويح بالاختلاف، والكلام الآمل، دون حركة مواكبة، قلت أني أعتقد أنهم يعرفون كنوزنا وما نتميز به أكثر مما نعرفها نحن، وفي الأغلب هم يحتاجوننا من منطلق آخر غير ما نلوح به، سألني الأستاذ: مثل ماذا؟، شعرت أنني تورطت، وحاولت أن أراجع، لكن ليس من حيث المبدأ، قلت لهم: "هم قد لا يحتاجوننا بالقدر الذي نصوره لأنفسنا، ونحن حين نحاول أن نعطيهم بعض ما عندنا نكسر ما عندنا ونعطي ما نحتاجه نحن في تردد خائف، حتى قد يصدق علينا المثل القائل: "طلب الغني شقفة كسر الفقير زيره، كات الفقير وكسه يا سؤ تديره"، أضفت: إننا قد نقدم كل ما عندنا بشكل عشوائي ونحن أحوج ما نكون إلى أن نستوعبه ونصقله أولاً، ونحن نقدره أكثر حين نشعر أنهم يطلبونه دعماً لمنظومتهم، لا تعلمنا من منظومة مختلفة، وهذا هو نص المثل، وأعدت ألفاظ المثل. ليسندوا هم به منظومتهم التي لا نعرف نحن عنها ما يكفي مثلما قال المثل، هز الأستاذ رأسه، وطلب مني إعادة المثل، ففعلت، فصمت متأملاً، ثم قهقه مستحسناً، ربما، وقد لاحظت أنه على قدر استشهاده بأغان قديمة معروفة وغير معروفة، لا يكاد يذكر أو يؤمن على حديث أو رأي باستعمال مثل شعبي في كثير من المناسبات، ربما لعدم اختلاطه بمجذور الفلاحين مثلما أتاحت لي فرصة ذلك.

نظر توفيق إلى حمام السباحة في الفندق، ومازح الأستاذ قائلاً إنه بعد قدوم الصيف وإكمال الشتاء سوف ينزل إلى حمام السباحة، فضحك الأستاذ ، فسألته إن كان يعرف العموم، فقال كان ذلك في الثلاثينات قبل حساسية الجلد، وكان عوم شواطئ بتحرك القدمين والساقين والذراعين كيفما اتفق، فأكملت مازحاً أن هذا ما نسميه في بلدنا عوم كلاب، فحكى توفيق عن لقطة في فيلم كان يمثل فيه شفيق نور الدين وكيف كان عومه عوم كلابيا مضحكا في موقف غير هزلي.

كلما ابتعدنا عن الحديث عن الاسلام وحكم الاسلاميين رجعنا إليه لنعيد ونزيد، ما الحكاية؟ ، لست أدري من الذي فتح الموضوع من جديد، فنبهتهم على احتمال التكرار، وحاولت أن

أوجز الموقف بأننا اتفقنا على أنه لا سبيل إلى الحل إلا بموقف جموعي، ولا سبيل لموقف جموعي إلا بالسياسة، ولا سبيل للسياسة في الشارع ومن الشارع إلا بتغير شامل لنظام العمل الحزبي والتكوين الحزبي والحضور الجماهيري الحريص على الحفاظ على مصالح الناس في الواقع اليومي، ولم يعقب أحد، يبدو أنني لم أقل جديداً، أو أنني أجهضت بتغير ذوق حق مبادأة جديدة قد تضيف، فحاولت أن أداري خجلي بحكي نكتة قرأتها في مجلة كاريكاتير أمس، قلت:

إنهم في الآخرة فرضوا على أنور السادات أن يعاشر جولدا مائير كنوع من العقاب تكفيرا عن سيئاته، فنظر حوله فوجد جمال عبد الناصر وهو مع مارلين مونرو، فاحتج على هذه التفرقة التي لا يجد لها ما يبررها في الآخرة، فقالوا له، إن هذا الذي يرى هو تعذيب وعقاب مارلين مونرو وليس مكافأة لجمال عبد الناصر.

وضحك الأستاذ مقهقهها، ثم ضحك باسمها وهو يبطأ رأسه

أثناء عودتي أنا وإبني، دعوته إلى الغداء في فندق ماريوت، وهو فندق - رغم فخامته وارتفاع أسعاره - يقدم وجبة واحدة عامة يوم الجمعة، في ساعات محددة، أشبه بما يسمى الساعات السعيدة، بخمسة جنيهات فقط لاغير، لاحظت ونحن في حديقة قصر الخديوي السماعيل أن عددا من المصريين وآخر من الأجانب، يجلسون إلى الموائد في دعة ورضا واكتفاء ذاتي آمن حار، قلت لمحمد: إن ما يصلني من هذا المجتمع أنه حتى المصريين الجالسين هنا هم سائحون مصريون قادمون من مصر أخرى، فأين يا ترى سوف ترحلونهم حين يركب الحكام الدينيون فوق رؤوسنا بالسلامة؟ قال محمد: أنت تكلمني وكأنك ما زلت تكلم الأستاذ، أنا مالي أنا، هو الذي يقبل هذا الحكم ويدافع عن حقه في التواجد بكل المخاطر فداء للديمقراطية ودفاعا عنها، قلت له: ألسنت أنت أيضا منبهر بهذه الديمقراطية التي ستأتي بهم، قال أنا لست منبهرها بالديمقراطية بوجه خاص، أنا مع التقدم ومستعد أن أدفع ضريبته مثل الأستاذ ما دام هو مستعد أن يتحمل أن يحكمه بعض من له علاقة بمن حاول قتله، هذا هو كل ما في الأمر.

ثم ذكرني محمد بإشارة قالها الأستاذ ويبدو أنني لم ألتفت لها بالقدر الكافي، حين قال إنه يبدو أن الاتجاه إلى الإقتصاد العالمي من خلال اتفاقية الجات والشركات العابرة والأفكار الغامرة قد تتمخض عن ولادة ما يسمى **المواطن العالمي**، فقلت له إنني أتعجب من قدرة الأستاذ على استيعاب التوجهات الجارية عبر العالم وملاحظتها ولو من خلال الأصدقاء هكذا، وهو بهذه الحال في هذه السن،

ودعونا له - محمد وأنا - بطول العمر، وقرأنا قل أعوذ برب الفلق، ودفعنا الحساب ونحن لا نصدق رقم الفاتورة،

فاتورة الوجبة الموحدة في الساعات السعيدة يوم الجمعة في فندق ماريوت عشرة جنيهات لشخصين سنة 1995!!

هل هذا معقول؟

هل هي بركة الأستاذ؟

\*\*\*\*\*

### الجزء الثاني

### من كراسات التدريب (1)

ص 19

بسم الله الرحمن الرحيم

.....

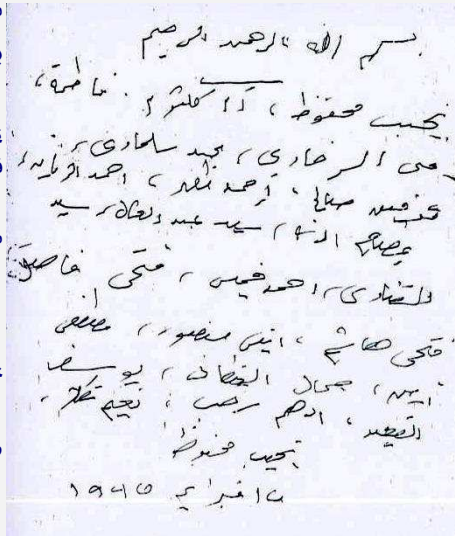
نجيب محفوظ، أم كلثوم،  
فاطمة، يحيى الخاوي،

محمد سلماوي، توفيق  
صالح، أحمد مظهر،

أحمد الزيات، عصام  
.....، سيد عبد العال،

سيد القناوي، أحمد  
خميس، فتحي فاضل،

فتحي هاشم، أنيس  
منصور، مصطفى أمين،



جمال الغيطاني، يوسف القعيد، أدهم رجب، نعيم تكل،

نجيب محفوظ

15 فبراير 1995

### القراءة

بدأت قراءة اليوم فإذا بها تؤدي إلى هذه الدعوة:

أتقدم بدعوة أصدقاء الأستاذ ومحبيه أن يدل كل منهم بما يعرفه عن علاقة الأستاذ بهذه الأسماء حيث أنني لا أعرف عن علاقته بهم ما يكفي للتعقيب مثل "عصام .....، سيد عبد العال، فتحي فاضل".

أما الأسماء الأخرى فأنا أعرف عنها ما يكفي للحكي الحدود، وما قد يثير ما يناسب من تداعيات.

لجأت إلى ذلك بعد أن كدت أخطئ في التعقيب حين قرأت اسم نعيم تكل، فحسبت أن الأستاذ كان يقصد نعيم صري، وحين كلفت

الابن الكريم حافظ عزيز بالاتصال بالصديق نعيم صبرى للتأكد أخيره أن المرحوم نعيم ت كلا هو صديق حقيقى للأستاذ من الأسكندرية، وأنه كان من المقربين منه وله معه قصص وحكايات، فدخلت استشير سيدنا جوجل فإذا بي اكتشف جهلى الذى أثار خجلى حتى أجلت القراءة وتقدمت بهذه الدعوة.

وإليكم مثلا بعض ما وجدته عن المرحوم **نعيم ت كلا**

... خرج الأديب السكندري الصعيدي نعيم ت كلا رحمه الله من قرية بهجورة بتعطيش الجيم. في صعيد مصر، ورغم مكانته الأدبية كانت مواقفه السياسية وتأييده للسلام مع اسرائيل وتكرار زيارته لها مع الأديب على سالم، إلى جانب ترجمة بعض أعماله إلى العبرية وكان الأديب السكندري الراحل نعيم ت كلا الذي ترجمت العديد من قصصه القصيرة إلى العبرية بل وقامت اسرائيل باصدار مجموعة قصصية كاملة له باللغة العربية، وهي المجموعة التي تحمل عنوان 'فيزات الطائر الأسمر النحيل' وصدرت هذه المجموعة القصصية عن احدي دور النشر في عكا في عام 1983 مما أدى أن دور النشر في مصر تقاطعه وترفض نشر أعماله بسبب تأييده للسلام مع اسرائيل وزياراته لها.

**تعقيب محدود :**

يا ترى أى جزء من هذه السيرة الموجزة هو الذى أحضر اسم "نعيم ت كلا" وعى الأستاذ أثناء التدريب، فتسرب إلى قلمه؟

ألست محقا في طلب العون وتأجيل القراءة؟

**أحمد خميس**

ثم دخلت إلى أحمد خميس فوجدت أنه بدأ حياته بكتابة الشعر و الأدب؛ بدايته عام 1950 في إذاعة القاهرة ثم في إذاعة ال B.B.C ثم الى إذاعة ألمانيا وتركها وعاد إلى القاهرة عام 1973، في عام 1959 بدأ مشواره السينمائى في فيلم "رسالة إلى الله" كان أحمد خميس عضو اتحاد الكتاب المصريين، صدرت له عدة دواوين ، ألف عدة أغنيات منها "الروابي الخضراء"، "عاشق السهر"، "موكب الخالدين" ومن دواوينه "رباعيات أحمد خميس" وشارك في أفلام على سبيل المثال فيلم الشك يا حبيبي و الأيدى الناعمة وفجر الإسلام.

**تعقيب محدود :**

يا ترى هل هو هو من كان يعنى الأستاذ

**ملاحظة أخيرة :**

طبعا فرحت لأول وهلة حين جاء اسمى في أول هذه القائمة، ثم تراجع فوراً حين افتقدت اسم زكى سالم، وتبينت لتوى أنه لا الترتيب له أهمية ولا حتى مجرد ذكر اسماء وإغفال أخرى له دلالة حتى أنى فسرت غياب اسم د. زكى سالم بأنه على أنه أمر طبيعى أكثر مما لو كان ذكره، فحضور زكى كان شديد الإحاطة شديد القرب، دائم الوصل أكثر من أن يحتاج أن يكتب اسمه أصلاً.

حين كتبت له أول روسته وهو ما زال في مستشفى الشرطة، تعجب الزميل الطبيب المسئول حين قلت أن ما يلزمه هو "روشته الناس" والتي عليه أن يتعاطاها بدقة بعد أن كانوا قد منعوا عنه الزيارة فأخبرتهم أن تشخيص حالته وهي "نقص الناس" وضحكنا حينذاك (نشرة 4-10-2007 يوميات: في شرف صحبة نجيب محفوظ "الحلقة الثانية").

سألت الأستاذ حينذاك عن الأسماء التي يجب أن تزوره بانتظام أثناء وجوده بالمستشفى ليتعاطاها كدواء كذا مرة في اليوم أو الأسبوع فكان أول اسم هو زكى سالم.

من هنا وجب الحذر في تفسير ورود الأسماء أو ترتيبها

ومن هنا أيضا بدت لي الدعوة التي أدت إلى تأجيل القراءة مشروعه ضرورية.

وهكذا توقفت أملا في أن يكون في جعبة الأصدقاء الذين حظوا بصحبته أكثر ما يعينني على قراءة هذه الصفحة ومثلها في أعداد قادمة.